بسم الله الرحمن الرحيم

البيان و التفصيل
في وجوب معرفة الدليل

تأليف الشيخ

جهيمان بن سيف العتيبي

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

اللهم اهدني وسددني.

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

واشهد ان لاإله إلا الله الملك الحق المبين، واشهد أن مُحَمَّدا رسول الله، النبي الامى خاتم النبين، والهادى إلى الصراط المستقيم، والمبلغ عن الله البلاغ المبين.

أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة أسأل الله ان ينفعنى بها وإخوانى المسلمين، أحببت فيها أن أشير إلى مسألة كبيرة، الخلاف فيها ليس من عهد قريب، بل منذ أكثر من ألف سنة، من حين إنقضت القرون المفضلة وإلى يومنا هذا والناس في هذه المسئلة بين متبصر فيها – وهم الاقل – وملتبس عليه الامر وهو يطلب الحق ويقصده، وبين ضال مضل، {يجادل في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير}، {كتب عليه انه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير}.

وهذه المسئلة هى مسألة؛

- معرفة نصوص القرآن والحديث فيما يعمله المؤمن ويعبد الله به من توحيد وصلاة و صيام وحج وغير ذلك، هل يجب عليه ان يعرف ما كان عليه النبي ﷺ – مثلا – في صلاته كيف صلى؟ أو في حجه، كيف حج؟ ونحو ذلك بأن يعلم الآية والحديث في ذلك؟ أم يكفيه أن يأخذ فتوى من العالم أو الشيخ؛ بأن هذا يجوز أو يصح أو العكس؟
- وهل هذا الواجب على طالب العلم والعامى والمرأة والجاهل على حدا سواء؟ أم يخص ذلك بعض هؤلاء دون بعض؟ وهل نصوص الكتاب والسنة يفهمها كل أحد؟ أم لا يفهمها ويفقهها إلا المجتهد ولا قدرة لغيره على فهمها؟
- وهل يجب مطالبة المفتى والشيخ بالدليل على كلامه من الكتاب والسنة أم لا؟
- وهل يجب على المفتى ان يذكر الدليل على فتواه ام لا؟

- وهل يجوز لمن بلغته الآية أو بلغه الحديث عن رسول الله ﷺ في مسألة من المسائل، وليس هو محيطا بالسنة كلها ولا القرآن وتفسيره ولا الناسخ والعام والمطلق وعكس ذلك، هل يجوز له ان يتوقف عن العمل بذلك لآجل فتوى عالم أم لا؟
- وما هو هدى الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وآئمة الدين واهل العلم وما مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك؟

فنقول وبالله نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل:



قبل الاجابة على هذه الاسئلة نقدم بين يديك مقدمة تقرب المقصود وتوضح المراد، وهي؛

ان من المتفق عليه بين المسلمين أنه يجب على المسلم أن يكون ذا بصيرة ثاقبة عند ورود الشبهات، وذا عزيمة ثابتة عند ورود الشهوات، لئلا يضيع دينه بين هذه وتلك، وما دام الانسان يسير على بينة من الله ورسوله فهو على نور من ربه، قال تعالى: { أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ}.

ومن المعلوم ايضا؛ ان الحق الذى يجب اتباعه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون وتابعوهم، من القرون المفضلة على لسان رسول الله ﷺ بقوله: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمنيه ويمينه شهادته) [رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه]، وأنهم أولى الناس بوصف المؤمنين في قوله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا}.

وأما من بعدهم فأنه يدخل فيهم التغيير والتبديل عما كان عليه أسلافهم، وتبقى طائفة على الحق يخذلهم الناس ويخالفونهم، لكن مع ذلك لا يضرهم ذلك شيئا، إذ قد ذكر رسول الله ﷺ في قوله: (لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس) [أخرجه أحمد والبخارى ومسلم من حديث معاوية رضى الله عنه}، ومعلوم ان هذا التغيير والتبديل في الدين عما كان عليه ﷺ وسلف الامة شيء قد أنبأ به النبي ﷺ في قوله: (لتتبعن سنن الذين كانوا من قبلكم

شبرا بشبر اوذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟!) [أخرجه أحمد والبخارى ومسلم عن أبي سعيد رضى الله عنه]، واليهود والنصارى قد وقع منهم التغيير والتبديل كما أخبر الله بذلك في أكثر من آية في القرآن، فوقع في هذه الامة من غير وبدل اتباعا لطريقة اليهود والنصارى كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، أشار إلى هذا المعنى الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته إلى قاضى الاحساء كما في "الدرر السنية [ج1 / ص 31 ومابعدها].

وإن كان هذا التغيير والتبديل وقع في هذه الامة بطريقة أخرى، فإن أؤلئك كانوا يحرفون كلام الله، {ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}، وأما التغيير والتبديل في هذه الامة؛ فلم يقع في القرآن كما هو معلوم وإنما وقع في القول على الله بلا علم من الافتاء في دين الله بدون استناد إلى قول الله ولا قول رسوله ﷺ، ومن اختلاق الاحاديث والكذب على رسول الله ﷺ، ومن التساهل في الاحاديث التي لم تثبت عن الرسول ﷺ، حتى بلغ الامر انك تجد كثيرا ممن ينتسب إلى الفقه من المتأخرين، ولا تجد في الكتاب من اوله إلى اخره نص آية أو حديث، وأصبحت أقوال الرجال المجردة عن الادلة تدون كما يدون القرآن والحديث، وشتان بين هداية الناس وارشادهم بأقوال من بشر يخطئ ويصيب ويعلم شيئا ويجهل أشياء، وبين هدايتهم بالوحى الذى سماه الله؛ "هدى"، و "بشرى"، و "نورا"، و "شفاء لما في الصدور"، و "بينات" و "حكمة" و "برهان"،ا فاين هذا من ذاك؟! ولكن من يتأمل؟

وبهذا تعرف انه ما دام ان الناس يقبلون على نصوص الكتاب والسنة ويتفقهون فيها ويبلغونها كما سمعوها؛ فهم على نور وبرهان وهداية مؤتلفين ومتفقين على نهج واحد، فإذا ما أبعدوها عنهم ووقفوا على ما دونها من اقوال الرجال المختلفة بلا مطالبة بالدليل والبرهان فانه يذهب كل فريق من الناس يتخذون اقوال رجل دون غيره ويتركون الكتاب والسنة بمعزل، "وكل فتاة بأبيها معجبة"، وتحصل الفرقة والاختلاف، ولذلك حرم الله ورسوله ان يكون هناك اتباع إلا لما انزل فقط – كما سيتبين لك في غضون هذه الرسالة ان شاء الله تعالى –

ومن أوضح الادلة على بطلان هذا الخلاف الذى طالما شقيت به الامة الإسلامية؛ انهم يستندون في إثبات هذا الخلاف إلى حديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وهو قولهم: (إختلاف أمتى رحمة) [حديث لا أصل له، نقل المناوى عن السبكى أنه قال: (وليس بمعروف ولم اقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع)].

وإذا عرفت هذا، فاعلم؛ انك في زمن غربة الإسلام، وأي غربة يعيش الدين فيها اليوم؟! والمتكلم بالباطل منصور، وصاحب الحق مخذول، والوحى مهجور، والسنة قد زهد الناس فيها، وما كان عليه النبي ﷺ واصحابه وحياتهم وسيرتهم إنما هى قصص وحكايات بل خيالات:

وأي إغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الاعداء فينا تحكم

وأكبر من ذلك أن الداعى إلى الله على بصيرة وصاحب الحق يضرب على يده ويسكت، وصاحب الباطل يترك له الميدان يفعل ما يشاء، ويعيث في الارض فسادا، {والله لا يحب الفساد}.

فتفطن يا أخي – رحمك الله – إلى ان النبي ﷺ قد أخبر عن غربة الإسلام فقال: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء) [رواه مسلم]، وفسر الغرباء؛ (أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم) [رواه مسلم رحمه الله في صحيحه].

وانظر إلى غربة الإسلام الاولى كيف كان؟ وكم كان القائمون به؟ أخرج مسلم رحمه الله في صحيحه عن عمر بن عبسة – أبي نجيح السلمى – رضى الله عنه؛ أنه قدم على النبي ﷺ وهو بمكة قال: فقلت: من معك على هذا الامر؟ قال: (حر وعبد)، يعنى؛ ابوبكر وبلال رضى الله عنهما، فتأمل في قول النبي ﷺ: (وسيعود الإسلام غريبا كما بدأ)، حتى تعلم ان الدين إذا عاد غريبا لا يكون عليه إلا أفراد قلائل، وأما جمهور الناس – وان كانوا يدعون الإسلام – فإنما هى فتنة لمن يغتر بالكثرة ويحتج بها، لأن الدين هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم، لا يقبل الله دينا سواه، فاعرض حياة الكثير من مسلمى هذا الزمان ومدعى الإيمان والتوحيد على حياة أولئك الرجال، يظهر لك الفارق ان كنت ممن نور الله بصيرته، وقد أشار إلى المعنى المذكور في غربة الدين الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب في رسالته التي المتقدم ذكرها.

والنبى ﷺ يقول: (فطوبى للغرباء)، فاحرص ان تكون ممن إذا اغترب الدين كان معه غريبا، وليس ممن {يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير إطمأن وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين}.

وبين يديك الان صفحات يسيرة – جهد المقل – في بيان أنه يجب على المسلم معرفة الدليل فيما يعمل به من الشرع ويعبد الله به، فأعط من نفسك ان تكون متواضعا

للحق إذا تبين لك بدليله من الكتاب والسنة، فإن الكبر قد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه؛ (بطر الحق، وغمط الناس) [رواه مسلم]، وبطر الحق؛ أي رده، وغمط الناس؛ أي احتقارهم، ولكن تجرد للحق من غير تعصب لرأيك أو لما عليه جمهور الناس أو لما يفتى به فلان وفلان، بل تنشد الحق فانى وجدته اخذته، فإن اقتنعت بما بين يديك من الادلة والبراهين فهذا والله ما نرجوه وندعوا لك به، وان لم يتجلى لك الحق ويتضح ولم يزل عندك فيه اشكال؛ فراجع كتب اهل العلم التي سنذكر لك بعضها في هذه الرسالة إن شاء الله.

لكن لا تنسى اثناء ذلك وقبله وبعده ان تكثر من الدعاء الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح به صلاته إذا قام من الليل، روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت؛ كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته، فقال: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل، فاطر السموات والارض، عالم الغيب والشهادة، انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)، واعتبر كيف النبي ﷺ يدعوا به إذا اقام من الليل، مع ان الله قد هداه إلى صراطا مستقيما، فأولى بنا أن نلح بهذا الدعاء نحن، كيف لا؟! ونحن نعيش في خضم أمواج الفتن التي اختلط فيها الحق بالباطل واصبح كل يدعى وصلا لليلى، والمسلمون يعيشون حالة يرثى لها من التخبط في ظلمات الفتن، والناجى من نجاه الله.

وأعمق هذه الفتن أثرا، وشرها ضلالا؛ هو ما نعانيه اليوم من الاعراض عن نصوص الكتاب والسنة وعن تعلم هدى النبي ﷺ، حتى من كثير ممن ينتسب إلى طلب العلم، وتجد الكثير من عامة من ينتسب إلى الدين والصلاح يعرفون عن رؤساء اليهود والنصارى وحياتهم وسيرتهم أكثر مما يعرفون عن نبيهم الهادى ﷺ وحياته وسيرته وغزواته، فضلا ان يميزوا بين بين الصحيح الثابت من ذلك والضعيف والمكذوب، حتى بلغ الامر في كثير منهم؛ أنك لو تسأله عن الصلاة؟ لأجابك في وعى المتنبه من النوم: "هاهم الناس يصلون هكذا يصلون، ها هكذا تعلمنا الصلاة من أبائنا ومنذ ان ولدنا ونحن في الإسلام ولله الحمد"، وإن كان ممن يدعى الصلاح والتقوى قال؛ "هكذا وجدنا مشايخنا لا يفعلون غير هذا"، وإن كان ممن ينتسب إلى طلبة العلم قال؛ "هذا الذى قرأنا في كتب الفقه"، فإذا اعدت عليه السؤال وقلت؛ هكذا علمنا رسول الله ﷺ، أليس النبي ﷺ يقول: (صلوا كما رأيتمونى أصلى) [رواه البخارى]، فإن كان صاحب ورع قال؛ "لا أدرى"، وهذا الصنف يرجى له خير ويرجى له ان يقبل الحق منك إذا جئته به، فإنه بجوابه هذا صادق، وقد سهل هو عليك الدخول معه إلى بيان الحق له بلا تعب.

فنقول: من هذا الجواب يتبين لك الفارق الكبير بين من يتعلم دين الرسول صلى الله عليه وسلم بالسند الصحيح الثابت، وبين من يتعلم دين الرسول عمن دون الرسول صلى الله عليه وسلم.

برهان ذلك؛ انك لماذا قلت "لا أدرى" في الجواب ولم تقل "نعم، هكذا صلى رسول الله ﷺ استنادا إلى ما قرأته في كتب الفقه"؟ أو "ما وجدت المشايخ يفعلونه"؟ أو "ما تعلمت من ابيك ومجتمعك"؟ فما دام اختلف الجواب فماذا يكون موقفنا بين يدى الله إذا سألنا عن هذا الحديث الجليل: (صلوا كما رأيتمونى أصلى). قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }.

وتأمل كيف؛ لم يقل النبي ﷺ؛ "صلوا كما رأيتم العلماء يصلون"، أو "المشايخ"، بل ولا حتى الصحابة، وهو الذى نبه على فضل العلماء في احاديث كثيرة، وانما "كما رأيتمونى أصلى"، لئلا يتملص احد من تعلم هدى النبي ﷺ بفتوى فلان أو فلان وما قاله الجمهور وذهب اليه الاكثر.

وأما ان كان المخاطب من المجادلين بالباطل، أو لا يريد الحق؛ فسرعان ما يقول لك؛ "أجل، الناس على ضلال، والناس مسلمون ام كفار؟"، وهكذا... كلما جئت له من باب فإنه يروغ روغان الثعلب، وإلا فما غايتك أنت إلا أن تبين له ما كان عليه رسول الله ﷺ، فان كان الذى عنده حقا فسيتفق مع ما تبين له، وان كان الذى هو عليه باطلا؛ فالحق احق ان يتبع.

أقول؛ إذا كان هذا الشأن في الصلاة التي هى عمود امر المسلمين، فكيف بما سواها من حج وصيام واعمال واحوال؟ ولكن لما اعرض الناس عن تعلم العلم النبوى وتعليمه، ولم يكتفوا به، واستعاضوا عن ذلك ب؛ "قال فلان وقال فلان"، وإذا ارادوا ان يقرروا قولا لا دليل عليه احتجوا بان فلانا قاله والاخر ذهب اليه، واذا ارادوا ان يتملصوا من الحق – لانه ثقيل على النفوس المريضة — قالوا؛ "المسألة خلافية فما ترى؛ هل نبقى على الخلاف في مفترق الطرق؟ أم نتبع قول الله عز وجل: { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، فبعد مجئ البينات لا يبقى اختلاف، ولكن إذا حيل بين الناس وبين البينات ذهبت بهم الاراء كل مذهب.

وما يزيد المسألة إيضاحا؛ قول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا }، فالدين الذى شرعه الله وجعله خاتم الاديان إلى قيام

الساعة هو نور مبين، اى؛ واضح لا لبس فيه ولا غموض ولاحرج ولاشك ولا ظن، فمن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم.

واعلم ان النبي ﷺ قد سار على هذا النور هو واصحابه، كان دينهم هو "قال الله"، "قال رسول الله"، لا يقدمون سوى ذلك عليه، وسار على هذا – ايضا – التابعون، وتابعوهم – كذلك — لا تجدهم يتعبدون الله عز وجل بمجرد فتوى انه "حرام" أو "حلال"، بدون دليل من قول الله ورسوله ﷺ، وإنما يروى السابق للاحق حديث النبي ﷺ، حتى حفظ الله بهم الدين، فيا ترى لو فعل الصحابة والتابعون للناس كما فعل فقهاء المذاهب في هذا الزمان وقبله واعطوا الناس الفتاوى الصحابية؛ بأن "هذا حرام" و "هذا حلال" و "هذا يصح" و "ذاك لا يصح"، أتراها ستصل إلينا أحاديث النبي ﷺ غضة طرية كما ننعم بها اليوم؟ فأيهم كان اهدى سبيلا؟ إن في ذلك لذكرى لاولى الاباب.

بل هذا الذى اوصى به النبي ﷺ في قوله: (نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو افقه منه، ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم؛ إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحط من ورائهم) [رواه الشافعى بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه، واحمد وابن ماجه والدرامى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه، وسنده صحيح]، فوامصيبة من لم ينصح للمسلمين ويؤد إليهم مقالة النبي ﷺ ليتفقهوا فيها.

واعلم؛ ان احاديث النبي ﷺ قد نقلها الثقات من اهل العلم عن الثقات، واصبح كل حديث له اسناد إلى النبي ﷺ، وقد يأتى رجل غير ثقة فيسند حديثا إلى رسول الله ﷺ؛ فلا يقبله منه اهل العلم، ولا يقولون على رسول الله ﷺ قولا ولا يسندون حديثا الا وقد تثبتوا من ثقة رجال الاسناد وضبطهم ولا يكون فيهم كذابا ولا مجهول – على تفصيل تجده في كتب الحديث – وكان كل من تفقه في القرآن والحديث يفتى بما يعلمه ويتوقف عما لا يعلم، حسب ورعه وتقواه، حتى اشتهر آئمته بالفتيا بعد عهد الصحابة رضى الله عنهم ثم في التابعين بكثرة، ثم بعدهم في اتباع التابعين،ومن بعدهم، وهؤلاء الآئمة امثال سعيد بن المسيب وسفيان الثورى ومالك بن انس ومُحَمَّد بن ادريس الشافعى والاوزاعى واحمد بن حنبل... وغيرهم رحمهم الله جميعا، ثم كان من هؤلاء آئمة ما زال الناس ينتسبون إلى مذاهبهم حتى اليوم؛ مثل أحمد بن حنبل ومالك بن انس والشافعى وابوحنيفة، واليهم ينتسب الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية.

وكان اول شأن هذه المذاهب؛ ان هؤلاء الأئمة كان يفتون كغيرهم بما يعلمون من الكتاب والسنة، ثم دونت فتاويهم ونقلها تلاميذهم من بعدهم، وهكذا... ثم توسع اتباع

المذاهب فصاروا يسمون فتاوى اتباع المذهب باسم المذهب، فقد تجد الاف الفتاوى في المذهب الحنبلى – مثلا – وليس للامام أحمد بن حنبل رحمه الله فيها شئ، ولذلك فرق بين قولك؛ "افتى أحمد بكذا"، وبين قولك؛ "في المذهب الحنبلى كذا".

ولكن اسمع ما هو منشأ البلاء الذى حل بالامة الإسلامية منذ قرون طويلة:

كان الآئمة رحمهم الله يفتون بالادلة من الكتاب والسنة، فأما القرآن فلا شك أنه وصلهم كما وصل غيرهم، واما الاحاديث؛ فلا يخفى ان الواحد منهم كانت تبلغه أحاديث لم تبلغ الاخر، فيفتى كل حسب علمه، تعرف هذا إذا عرفت تباعد اقطارهم وصعوبة الرحلة والتنقل بين هذه الاقطار، فقد كان مالك – مثلا – في المدينة، واحمد في الشام، والشافعى في الشام ثم في مصر، وعلى هذا فقد يفتى الواحد منهم رحمهم الله بالفتوى يكون فيها مخطئا لعدم علمه بالدليل الذى يدل على خلافها، وبلا شك فانه معذور ومأجور على اجتهاده ومغفور له خطأه لحديث: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فأجتهد فأخطأ فله اجر ا) [رواه البخاري ومسلم]، وساروا رحمهم الله على منهج الحجة والدليل والبرهان يتعلمون ويعلمون، وإذا تبين لاحدهم خطأه في مسألة من المسائل ثم وجد الحديث رجع إلى الحديث وترك ما كان عليه.

وإليك هذا المثال:

قال بن وهب: (سمعت مالكا سئل عن تخليل اصابع الرجلين في الوضوء؟ فقال؛ ليس ذلك على الناس، قال؛ فتركته حتى خف الناس، ثم قلت له؛ عندنا في ذلك سنة، فقال؛ وما هى؟ قلت؛ حدثنا الليث بن سعد وابو لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابى عبد الرحمن الحبلى عن المستورد بن شداد، قال؛ "رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه"، قال؛ إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الاصابع) [راجع مقدمة الجرح والتعديل لابن ابى حاتم، ص: 31، 32].

وهذا الامام أحمد رجع إلى القول بالجلسة بعد السجدة الثانية من الركعة الاولى والثالثة – والتى يسمونها "جلسة الاستراحة" – كما نقله عنه الخلال راجع "المغنى" و "فتح البارى".

وهذا طريقهم؛ كلما اتضحت لهم سنة رجعوا إليها وتركوا اقوالهم، وهى الطريق الذى كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، كما رجع عمر رضى الله عنه لما اعترضت عليه

العجوز وهو يخطب على المنبر، [أخرجه أبو يعلى، قال ابن كثير: (بسند جيد)] – راجع القصة كاملة في الرسالة الخامسة من هذه الرسائل—

فقد كان الائمة رحمهم الله على نهج مستقيم، ثم خلفت من بعدهم خلوف غيروا وبدلوا، وفيهم وجدت فتنة ابعاد الادلة عن الفتاوى وعدم الحرص على الدليل، فإذا وجد الواحد منهم فتوى عن الامام أو غيره ب "أن هذا حرام" لم ير بأساً ان يعمل بها ولو لم يعرف الدليل المحرم، ثم قويت هذه الفتنة حتى صار جل همهم التأليف في فتاوى المذهب واختصارها وشرحها، ووصل ببعضهم الامر؛ إلى انه قد يجد الحديث عن النبي ﷺ تخالفه فتوى الامام فيتكلف له وجوه التأويل وغرائب الاحتمالات، بل قد يرده ولا يعمل به تشددا وتعصبا لقول الامام وفتواه؛ ان يتركها أو يردها، وهذا هو الخطر العظيم الذى كان يخافه الائمة رحمهم الله، فلذلك حذروا من الصنيع وامروا بالحرص على الحجة والدليل وترك اقوالهم اذا خالفت الحديث، واليك اقوالهم:

تنبيه؛ تجد فيما يلى تتكرر كلمة "التقليد"، ومعناه؛ قبول القول من دون حجة، كما عرفه غير واحد من العلماء، منهم ابن القيم والشوكانى رحمهما الله.

قال الامام احمد: (من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة) [...].

وقال: (لا تقلدنى ولا تقلد مالكا والشافعى ولا الثورى ولا الاوزاعى، وخذ من حيث اخذوا) [راجع اعلام الموقعين].

وقال الشافعى: (كل ما قلت، فكان عن النبي ﷺ خلاف قولى مما يصح، فحديث النبي اولى، فلا تقلدونى) [ذكره بن عساكر].

وقال مالك: (إنما انا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيى، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه) [راجع جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر].

وقال ابوحنيفة: (حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى) [راجع الميزان للشعرانى].

هذه أقوال أولئك الائمة، فأين اتباعهم الصادقون أنهم على منهجهم؟ ولكن ما زالت فتنة التقليد وترك الادلة تفتك بهؤلاء الاتباع حتى قام التعصب للمذاهب على اشده، ويرد بعضهم ما جاء به الاخر، بل اشد من ذلك واعظم؛ ان يجد فتوى الامام تخالف

حديث رسول الله ﷺ فيتكلف لتأويل الحديث، كأن الذى تعارض به آية أو حديث، بل قد يتوقف ولا يعمل به لئلا يسقط قول إمامه أو شيخه الذى افتاه، وفى زعمه ان هذا من تقدير الامام والعالم والشيخ وتعظيمه، وما علم انه بهذا خالف شرع الله ووصية الامام.

وهنا يلهمه الشيطان حجة ابليسية، فيقول؛ "لماذا ترك الامام العمل بهذا الحديث؟ لا بد انه علمه ولكن تركه لعلة، أو انه لم يصح عنده، أو ان عنده ما يعارضه"، وأخيرا يقول؛ "ما أنا بأفضل من الامام أحمد أو الشافعي – مثلا –" وغفل المسكين عن ان هذا الامام أو العالم بشر يجوز عليه الخطأ – ومن ذا الذى لم يخطأ قط؟ – بل أما يتذكر الذى يرد الحديث الصحيح لقول الامام، ان الله سوف يسأله عما أنزل ولن يسأله عن قول إمامه، قال الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}، أي عن الذكر.

وهى زلة عظيمة وقع فيها اتباع المذاهب من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وهى؛ انهم يقبلون اقوال العلماء ولا يردون منها شيئا، وهذا ليس إلا للرسول ﷺ الذى لا يرد من كلامه شيء لآنه معصوم عن ان يشرع للناس خطأ – والرسول مبلغ عن ربه التشريع – بل إذا أخطأ لم يقره الله على ذلك، فنزلوا العلماء منزلة الرسول ﷺ، يتبعون جميع ما قال بلا استثناء، إذن فماذا بقى للرسول ﷺ؟ مع انهم يعترفون ان العالم بشر غير معصوم، ومع ذلك يحسبون انهم مهتدون!

أقول؛ نشأت هذه الفتنة وقويت، ولم تكن قبل موجودة في القرون المفضلة.

قال ابن القيم رحمه الله [فى كتاب اعلام الموقعين: ج 2/ ص189] ما نصه: (وأيضا فإنا نعلم بالضرورة؛ أنه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده في جميع اقواله، فلم يسقط منها شيئا، واسقط اقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا، ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في عصر التابعين ولا تابعى التابعين، فليكذبنا المقلدون برجل واحد سلك سبيلهم الوخيمة في القرون المفضلة على لسان رسول الله ﷺ، وإنما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسان رسول الله ﷺ، فالمقلدون لمتبوعهم في جميع ما قالوه يبيحون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها، ولا يدرون أذلك صواب أم خطر عظيم؟ ولهم بين يدى الله موقف شديد، يعلم من قال على الله ما لا يعلم أنه لم يكن على شئ) انتهى كلامه رحمه الله.

وبعد ان تبينت لك حقيقة هذه المسئلة وخطرها وعظم المصيبة على المسلمين من جرائها، نأتى على الاجابة على تلك الاسئلة التي طالما حاكت في نفوس كثير من محبى الخير، ولما يتجلى لهم الحق فيها.

اعلم؛ ان اكبر ما نعاني اليوم من التقليد؛ هو الاعراض عن القرآن والحديث، والاكتفاء بقول فلان وفلان؛ "ان هذا الامر لا بأس به" أو "به بأس"، وأشد من ذلك الجمود على قول العالم بعد معرفة بطلانه من الكتاب والسنة وبعد ظهور الحجة والدليل، والمقلد لا علم له بالوحى بل بأقوال الرجال، فتجده لا يدرى هل هذا العالم ذو علم وفقه وتجرد ام ليس كذلك، فيضيع بين كل من ادعى العلم ولو كان من اهل الجهل والضلال.

ومن خبر من تكلم في التقليد الامام ابن القيم رحمه الله بسط القول فيه في اكثر من مئة صفحة من كتابه اعلام الموقعين.

قال رحمه الله في [ص 168]: (تفصيل القول في التقليد، وانقسامه إلى مايحرم القول فيه والافتاء به والى مايجب المصير اليه والى مايسوغ من غير إيجاب؛ فأما النوع الاول فهو إلى ثلاثة انواع:

أحدها: الاعراض عما انزل الله وعدم الالتفات اليه، إكتفاء بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد انه أهل ليأخذ بقوله – قلت: وكيف يعلم المقلد أن هذ اهل وهذا ليس بأهل وهو لاعلم له بالوحى؟!! –

الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل خلاف قول المقلد، وهذا اولى بالذم ومعصية الله ورسوله).

ثم قال: (وقد ذم الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}).

ثم قال [ص169]: (فإن قيل؛ إنما ذم من قلد الكفار وآباءه الذين لايعقلون شيئا ولايهتدون، ولم يذم من قلد العلماء المهتدين بل قد أمر بسؤال أهل الذكر وهم أهل العلم، وذلك تقليد لهم، فقال تعالى: { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }، وهذا امر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم.

فالجواب؛

انه سبحانه ذم من اعرض عما أنزله إلى تقليد الآباء، وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والآئمة الاربعة على ذمه وتحريمه، وأما من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفى عليه بعضه فقلد فيه من هو اعلم منه، فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور).

قلت: إن الذى يبذل جهده في اتباع ما أنزل الله لا بد ان يصل إن شاء الله إلى الفصل بين الحق والباطل في أغلب المسائل، لقول النبي ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه) [رواه الخطيب في تاريخه بسند حسن]، فإن اكثر ما نرى من الخلاف الشائع في الامة يرجع غالبه إلى أحد شيئين:

1) إما إلى حديث ضعيف، وهذا كثير.

ومثال ذلك الخلاف في مسألة وضع اليدين في الصلاة، هل توضع على الصدر أو تحت السرة أو غير ذلك؟ فتجد كثيرا من الناس يضعونها تحت السرة، وإنما استنادهم في ذلك إلى حديث ضعيف رواه أحمد وابو داود عن على رضى الله عنه، قال: (إن من السنة في الصلاة وضع الاكف على الاكف تحت السرة)، وفى سنده عبد الرحمن بن اسحاق الكوفى، قال أبوداود: (سمعت أحمد بن حنبل يضعفه)، وقال البخارى: (فيه نظر)، وقال النووى: (هو ضعيف بالاتفاق).

قلت: وإنما الذى ثبت عن النبي ﷺ؛ هو انه كان يضع يديه على صدره [رواه أحمد في المسند؛ ج 5 ص 226، وغيره، بسند حسن].

2) وإما إلى قول لا دليل عليه، وهذا هو الغالب في اكثر الخلافات؛ ان تجد قولا يدل عليه الدليل، ويعترض عليه بقول لادليل عليه، وأمثلة ذلك كثيرة لمن تأمل ذلك وعرض واقع الناس على ما أنزله الله في كتابه وأوحى به إلى رسوله ﷺ وكان عليه المسلمون قبل اربعة عشر قرنا من الزمان.

فإذا تثبت في دينك الا تأخذ إلا بدليل، وبدليل صحيح؛ انقذك الله من كثير من الخلاف.

وقد تقع في مسائل تبذل جهدك في اتباع ما آنزل الله ثم يخفى عليك بعضه، فهنا تتحرى الحق حسب ما تعلم مما انزل الله، ثم الامر كما قال الله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}، وهذا غاية ما أتاك الله، وليس هناك دليل على انك تقلد والحالة هذه.

ثم قال ابن القيم رحمه الله [ص 169]: (وقال تعالى: { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}، والتقليد ليس بعلم باتفاق اهل العلم...)، إلى ان قال: (وقال تعالى: { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء }، فأمر باتباع المنزل خاصة، والمقلد ليس له علم ان هذا هو المنزل، وان كان قد تبينت له الدلالة في خلاف قول من قلده فقد علم ان تقليده

خلافة اتباع لغير المنزل، وقد قال تعالى: { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }، فمنعنا سبحانه من الرد إلى غيره وغير رسوله ﷺ، وهذا يبطل التقليد).

ثم قال [ص 170]: (وقال الله تعالى: { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا }، وهذا نص في بطلان التقليد، فإن قيل؛ إنما فيه ذم من قلد من أضله السبيل، أما من هداه السبيل فأين ذم الله تقليده؟

قيل: جواب هذا السؤال في نفس السؤال، فإنه لا يكون العبد مهتديا حتى يتبع ما أنزل الله على رسوله، فهو مهتد وليس بمقلد، وان كان لم يعرف ما أنزل الله على رسوله فهو جاهل ضال بإقراره على نفسه، فمن أين يعرف انه على هدى في تقليده، وهذا جواب كل سؤال يوردونه في هذا الباب) أهـ

ثم ذكر رحمه الله فصولا نافعة في إبطال حجج المقلدين، ثم اتبع ذلك بعقد مناظرة بين مقلد وصاحب حجة، وفيها ابطل التقليد وحجج القائلين به بأكثر من ثمانين وجها لا تكاد تجد عندك اشكالا أو حجة يحتج بها المقلدون إلا وجاء بها ورد عليها بالدليل من الكتاب والسنة، على عادته، رحمه الله فجزاه الله عن الإسلام واهله خيرا.

ثم اعلم يا أخي - رحمك الله - ان المقلدين ما زالوا - بعد الائمة الاربعة - يكثرون ويتعصب كل فريق منهم لإمامه ومذهبه، وهم كما رأيت؛ لا بنصوص الكتاب والسنة رفعوا رؤوسهم ولا بوصية آئمتهم عملوا، فإن كل إمام قد أوصى ألا يؤخذ قوله إلا بدليل وحذر من بعده ان يقلدوه.

ولذلك يقول في "اعلام الموقعين" [ص 170]: (فإن قيل؛ فانتم تقرون ان الآئمة على هدى، فمقلدوهم على هدى قطعا لانهم سالكون خلفهم؟!

قيل؛ طريقتهم رحمهم الله كانت اتباع الحجة والنهي عن تقليدهم، فسلوك المقلدين على هذا الطريق مبطل لتقليدهم لهم قطعا، اما من ترك الحجة وارتكب ما نهوا عنه ونهى الله ورسوله عنه قبلهم فليس على طريقتهم وهو من المخالفين لهم، وانما يكون على طريقتهم من اتبع الحجة وانقاد للدليل... الخ كلامه رحمه الله).

ثم قال في موضع اخر: (واعجب من هذا؛ ان أئمتهم منعوهم عن تقليدهم، فعصوهم وخالفوهم، وقالوا؛ نحن على مذاهبهم، وقد دانوا بخلافهم في اصل المذهب الذى بنوا عليه! فانهم بنوا على الحجة ونهوا عن التقليد، وأوصولهم إذا ظهر الدليل ان يتركوا اقوالهم ويتبعوا الدليل، فخالفوهم في ذلك كله، وقالوا؛ نحن من اتباعهم - تلك امانيهم، وما اتباعهم إلا من سلك سبيلهم واقتفى اثارهم في اصولهم وفروعهم -) [ص190، 191/ج2].



أما مسألة هل يستوى في ذلك طلب العلم والعامى والمرأة والجاهل أم لا؟

فمن المعلوم؛ ان دين الله الذى شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ هو لكل هؤلاء، وواجب اتباعه على جميع هذه الاصناف لعموم الامر بالاتباع، ثم لا شك ان الرسول ﷺ مرسل اليهم جميعا، ولا يجوز تخصيص بعضهم دون بعض إلا بدليل يدل على ذلك، كيف؟! واصحاب النبي ﷺ ورضى الله عنهم؛ اميون، لا يكتبون ولا يحسبون، قال الله: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ }، وقبل ان يعرفوا الكتاب والإيمان كانوا في حالة شر من حالتنا اليوم.

في صحيح البخارى؛ قال حذيفة: (يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير).

وكان الاعرابى يأتى من البادية يسأل عن الإسلام ويجلس عند النبي ﷺ مجلسا واحدا، يخرج منه بما يدخل به الجنة - إن صدق - أخرج البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من اهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، فقال: هل على غيرهن؟ قال: (لا، إلا ان تطوع)، فقال رسول الله ﷺ: (وصيام رمضان)، فقال: هل على غيره؟ قال: (لا، إلا ان تطوع)، وقال: ذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل على غيرها؟ قال: (لا، إلا ان تطوع)، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا انقص منه، فقال رصول الله ﷺ: (أفلح إن صدق)، أو (دخل الجنة إن صدق).

فيا ترى هذا الاعرابى كيف يتعلم الصلاة؟ يتعلمها بأن يصلى امامه احد الصحابة رضى الله عنهم، لأن الرسول ﷺ علمهم كذلك كما في قوله: (صلوا كما رأيتمونى أصلى) [رواه البخارى]، يعطونه احاديث النبي ﷺ المعدودة الواردة في شأن الزكاة والصوم في وقت يسير، وهب انه قضى اليوم بكامله ليعرف كل هذا ويرجع إلى قومه عالما بدين الله عز وجل يبلغه كما سمعه.

أقول: لو جاء هذا الاعرابى إلى متفقهة هذا الزمان؛ لهولوا عليه العلم ولكتموا عنه ما أنزل الله، ولقالوا له؛ أفعل كذا ولا تفعل كذا، ولعددوا عليه الاركان والواجبات والشروط والمبطلات والفروض حتى يحار، فإن لم يجد في ذلك هداية وبرهانا وحجة، وقال؛ أريد ان أطلب العلم وأعرف ما الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا؛ "هيهات! بينك وبينه مفاوز، لكن احفظ المتون، ثم أقرأ الشروح واحفظ القرآن واقرأ التفسير وتعلم اللغة والنحو و... و... و... ثم إذا أمضيت سنتين من عمرك في هذا، هناك يحق لك ان تستخرج المسائل من النصوص، وأما قبل ذلك فليس لك إلا ان تسير كالاعمى وراء ما يقول لك الشيخ! وإياك ان تحدث نفسك بأن تراجعه في شيء فضلا عن ان ترد من اقواله شيئا"!!

قال الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: (إعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم اربع مسائل، الاولى معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالادلة...)، من الاصول الثلاثة التي كتبها لعوام الناس، ولعل بعضهم يحفظها إلى الان، فأين من يدعى انه على طريقة الشيخ رحمه الله.

وقال الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب في موضع آخر: (ويشترطون في ذلك شروطا لعلها توجد تامة في أبي بكر وعمر) [راجع الدرر السنية].

وقد رأينا كثيرا ممن يحفظ الشروط والاركان والواجبات ويطبقها، فإذا سألته عن صلاة رسول الله ﷺ؛ كان خير احواله ان يتورع ويقول؛ لا أدرى، فلا يغرك يا أخي ما عليه اكثر الناس، واعلم؛ ان نبى الله ﷺ قال: (إن هذا الدين يسر) [رواه البخارى]، واصطحب معك دائما القاعدة القرآنية: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}.

ولا اعلم حجة يحتج بها من يفرق بين طالب العلم والعامى؛ إلا انهم يقولون؛ أنه لا يستطيع أن يفهم نصوص الكتاب والسنة، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والحديث الصحيح والضعيف، وخلاف العلماء! فلو تلقى عليه محاضرة كاملة لكان أخر أمره أن يقول؛ أخبرنى هل هذا يجوز أو لا يجوز؟!! وكذلك المرأة ونحوهما، والله يقول:

{لايكلف الله نفسا إلا وسعها}، فلا تكلفه فوق طاقته، وفى تكليفه بطلب العلم حرج ومشقة تتنافى مع يسر دين الله تعالى.

فنقول؛ إليك الجواب:

أولا: [قوله]؛ "انه لا يستطيع ان يفهم نصوص القرآن والسنة" فيها – من حيث لا يشعر الناطق بها – اتهام لشرع الله ان الله امر به الناس وقسم منهم لايستطيع فهمه، وفى صحيح مسلم حينما قالوا؛ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، قال الله تعالى: (نعم)، ولكن يزيل هذا الاشكال ان الآية والحديث إذا لم يكن المخاطب ان يفهمها فيبسطها له المفتى ويفهمه إياها، مع ان كثيرا من العرب وخاصة البوادى إلى اليوم كثيرا ما يفهمون الخطاب باللغة العربية، فيفهمه إياها بلسانه، باللغة العامية أو اللغة الاعجمية – ان احتاج إلى ذلك – لأن المقصود هو البيان، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}.

ولا أجد حرجا ان أقول؛ أنه يوما من الايام كان جالساً معنا رجل أمى باكستانى وفهمناه باللغة التي يفهمها؛ الحديث الذى في صحيح مسلم؛ "أن النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه طلعت عليهم الشمس حينما فاتتهم صلاة الفجر... الحديث"، وفهمه فهما صحيحا.

فلا يسر الله على من يعسر على المسلمين دينهم، ويهول عليهم طريق طلب العلم، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه.

ثانيا: إذا أختلف العلماء في مسألة من المسائل، ثم سأل العامى عنها، فلست مكلفا ان تسوق له الخلاف واقوال الناس واصطلاحات أهل العلم، وانما تبين له الذى يترجح لك بدليله، فان كنت في توقف عن الترجيح بينت له دليل هؤلاء ودليل هؤلاء، ف "رب حامل فقه إلى من هو افقه منه") [رواه أحمد وغيره عن زيد بن ثابت بسند صحيح]، وأخبره انك متوقف عن الترجيح، وهذه ميزة طالب العلم عن الجاهل، أنه يكفيك المؤونة في تحصيل الدليل وتيسير الوقوف عليه، وليست وظيفته ان يحرمه العلم ويكتمه عنه، قال الله عز وجل: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}، فإذا بلغته ما أنزل الله على وجهه فقد برأت ذمتك، وما عليك إلا البلاغ، وهو يتحرى الحق ويعمل بما يتضح له، ولايكلفه الله إلا ما أتاه.

لكن المصيبة اليوم؛ ان المسلمين لا يكادون يجدون العالم المحقق في نصوص الكتاب والسنة، الذى يفقههم في الوحى المنزل – إلا قليلا – وإنما ابتلوا بأقوام إذا أراد أحدهم ان يقرر مسألة ما، قال؛ "نص عليه الفقهاء"، ويااليت ان هذا إجماع ثابت!

وإن من الانصاف ان نذكر؛ انه قد ذهب بعض أهل العلم إلى انه لا بأس بالتقليد للعامى، ويستدلون بقول الله عز وجل: { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }، قالوا؛ قسم الله الناس إلى اهل ذكر والى قسم لا يعلم، وامر من لا يعلم بسؤال من يعلم.

قلت: قد ذكر ابن القيم هذا الاحتجاج في "اعلام الموقعين" ضمن حجج المقلدين، في المناظرة التي عقدها بين مقلد وصاحب حجة، والذى يظهر لى ان الآية لا تدل على ذلك من وجهين:

الوجه الاول: ان سياق الآية —كما في سورة النحل – { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ }، فأمر بسؤالهم بالبينات والزبر، والبينات؛ هى الحجج الواضحات من قول الله وقول رسول الله ﷺ، والزبر؛ هى الكتب، وإن قوله بالبينات، فالمسؤول عنه هنا هو المجهول، وهو الذى لا تعلمونه، وهو البينات، فيكون المعنى؛ إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فسألوا أهل الذكر؛ أي عنها.

الوجه الثانى: ان الله عز وجل أمر بالسؤال عند عدم العلم، فقال: { إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }، والتقليد ليس بعلم، ومعرفة الفتوى بلا دليل؛ ليس بعلم يحرم كتمانه.

قال ابن عبد البر: (أجمع اهل العلم على ان المقلد ليس بعالم).

بل ذكر ابن القيم وجها قويا، وهو ان المقلد يعترف على نفسه بأنه ليس من أهل العلم، وإلا لو كان عنده علم فلماذا يقلد؟ فتبين انه بوقوفه على الفتوى بلا دليل لم يستفد علما، فما زال لا يعلم، والله قد أمر الذين لا يعلمون بسؤال أهل الذكر، فحينئذ لا يزال يجب عليه السؤال حتى يعلم العلم الشرعى الذى أنزله الله على رسوله ﷺ.

فتبين ان الآية تدل على وجوب طلب الدليل على جواز تركه، وقد يحتجون أحياناً بالحجة التي سبقت قريباً وقد تبين لك وجه الرد عليها.



أما هل النصوص يفهمها كل أحد أم لا يفهمها ويفقهها إلا المجتهد؟

فالقول بأن نصوص القرآن والحديث يفقهها بعض الناس دون بعض؛ قول باطل ومخالف لصريح القرآن، إذ يقول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

ولا يقول احد من المسلمين؛ ان هناك بينة غير قول الله ورسوله ﷺ، وقد خاطب الله بهذا الناس – جميع الناس – فمن جعل البينة والشفاء لما في الصدور والهدى والرحمة لصنف من المؤمنين دون الاخر، فقد خالف صريح القرآن وافترى بلا علم وادعى بلا حجة ولا برهان، وغير هذه الآية في القرآن كثير لمن تأمل وتدبر بلا هوى ولا تعصب.

حتى ذكر الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في "الاصول الستة" – كما في الدرر السنية وغيرها – قال: (الاصل السادس؛ رد الشبهة الشيطانية، وهى ان نصوص القرآن لا يفهمها إلا المجتهد... الخ كلامه رحمه الله تعالى).

وأما الشروط التي تجدهم يدندونون بها ويشترطونها فيمن يجوز له ان يتفقه في النصوص ويستخرج منها الاحكام، فانها تحتاج إلى ادلة من الكتاب والسنة، ثبت في الصحيحين قول رسول الله ﷺ: (ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ايما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، باطل، باطل، وإن كان مئة شرط).

وقد أوصلها بعضهم إلى عشرة شروط، وثلاثة عشر شرطا، وغير ذلك.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب رحمهم الله في كتابه "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" – عند شرحه لقول الامام أحمد رحمه الله: (عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان) – قال: (ومراد احمد؛ الانكار على من يعرف اسناد الحديث وصحته ثم بعد ذلك يقلد سفيان أو غيره ويعتذر بالاعذار الباطلة، أما بأن ألاخذ بالحديث اجتهاد، والاجتهاد انقطع منذ زمان، وإما بأن هذا الامام الذى قلدته اعلم منى فهو لا يقول إلا بعلم ولا يترك هذا الحديث – مثلا – إلا عن علم، وإما بأن ذلك إجتهاد ويشترط في المجتهد ان يكون عالما بكتاب الله، عالما بسنة رسول الله ﷺ، وناسخ ذلك ومنسوخه، وصحيح السنة وسقيمها، عالما بوجوه الدلالات، عالما بالعربية والنحو والاصول، ونحو ذلك من الشروط التي لعلها لا توجد كاملة إلا في ابى بكر وعمر رضى الله عنهما، كما قال المصنف – يعنى الشيخ مُحَّد ين عبد الوهاب – فيقال؛ هذا إن صح، فمرادهم بذلك المجتهد المطلق، أما أن يكون ذلك شرطا في جواز العمل بالكتاب والسنة،

فكذب على الله ورسوله ﷺ وعلى آئمة العلماء، بل الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلم معنى ذلك في أي شيء كان، ان يعمل به، ولو خالفه من خالفه، فبذلك امرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ، واجمع على ذلك العلماء قاطبة، إلا جهال المقلدين وجفاتهم، ومثل هؤلاء ليسوا من اهل العلم، كما حكى الاجماع على انهم ليسوا من اهل العلم، نقله أبو عمر بن عبد البر وغيره، قال الله تعالى: { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ }، وقال تعالى: { وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }، فشهد الله تعالى لمن أطاع الرسول ﷺ بالهداية... الخ كلام الشيخ رحمه الله).

والذى يفرق بين طالب العلم والعامى، وبين من عنده آله ومن ليس عنده، لا يستطيع ان يضع حدا محدودا للمرء حتى يكون طالب علم أو صاحب آلة، ويكفيه انه يتحكم في عباد الله ويقسمهم، ويفرق بينهم فيما أوجبه الله عليهم جميعا، ولا برهان عنده من الله ورسوله، ولا يجد الفرق هذا كان في اصحاب رسول الله ﷺ، كيف؟! والعامى يجب عليه ان يكون طالب علم، يقول الرسول ﷺ: (طلب العلم فريظة على كل مسلم، وإن طالب العلم ليستغفر له كل شئ، حتى الحيتان في البحر) [أخرجه بن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"، وهو صحيح].

إذا فلماذا خلقه الله إلا ليعبده بما شرع.

ولكي تعلم ان العلة في هؤلاء العوام ليست لأنهم لا يفهمون ولا يفقهون، وإنما العلة هى انهم لا يلقون لدين الله بالا ولا اهتماما، وانظر إلى الواحد منهم في دنياه؛ تجده سباقا في جميع الميادين، يعرف التجارة والبيع والشراء وتصريف المال على التفصيل، وانظر اليه إن كان موظفا، كيف يفهم النظام ويتفقه في المواد التي ينص عليها والحقوق والعقوبات – والتى أكثرها ليست عن الله، بل قوانين وضعية – وأن كان من رجال المحاكم والدعاوى؛ وجدته حازماً خبيراً بالنظام، يفلق خصمه بالحجة، يفقه حتى بعض المسائل الشرعية المتعلقة بالقضاء، فقها منقطع النظير، وإن كان من أهل الزراعة فكذلك، وإن كان من البادية؛ وجدته خبيرا بمسائل الرجولة وعادات القبائل وأخلاق الرجال، لا تستطيع ان تنتقده ولا في نطقه بالكلام، بل هؤلاء العوام فيما بينهم تجدهم يتواصون بألا يقصروا في مجالات حياتهم أو يفرطوا في شيء من الامور... وهكذا.

لكن فتش عن أحوال هذا الرجل الحازم في عبادته وتقواه. وفى مجال طلب العلم، كيف هو؟ وما موقفه إذا أمرته أن يتعلم دينه؟ يقول؛ "أنا عامى والعلم بصر، ولا أستطيع ان

افهم، ولا تعسر علينا، والدين يسر، واختلفت المشائخ بهذا الشئ، وراحت أعمارنا ويش نسوى؟"... وهكذا.

فلماذا لم يقل هذا الكلام في تلك المجالات الدنيوية؟ لو اعتذر بهذه الاعذار في مجال الزراعة ما نبتت له خضراء، أو في مجال التجارة ما ربح قرشا ولا فلسا، أو في مجال الوظيفة لما توظف، أو في البادية لتبرأت منه قبيلته ولطردوه، ولكن نظر إلى بقائه في الدنيا؛ فعمل لها وأثرها على الاخرة، قال الله تعالى: { فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، ولو صدق في حبه النجاة في الاخرة لأعد لها العدة، قال الله: { مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} ، فاتقوا الله آيها المسلمون.

بل الكثير منهم؛ لا يعرف عن رسول الله ﷺ ولو حديثا واحدا متثبتا من صحته، وإكان يحسن قراءة فاتحة الكتاب فهذا كثير، فضلا عن ان يعرف كيف صلى رسول الله ﷺ أو كيف حج... ونحو ذلك، فهذا العامى يصلى في اليوم مرات، ولعله يحج كل عام، فنعوذ بالله من الجهل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإن كانت هذه حال الرجال فكيف بالنساء؟ حدث ولا حرج من الجهل الفاضح، واللواتى تعلمن القراءة؛ فعلى منهج الشر والفساد، وإلا فأين نساء المسلمين اليوم من نساء السلف الصالح العالمات الفقيهات المحدثات العابدات التقيات؟، وكم يحفظن اليوم من القرآن؟ وماذا يعرفن عن النبي الهادى ﷺ وصلاته وصيامه وحجه؟ وأينهن وأين العلم والإيمان والهدى والنور؟ ولكن كما قال الشيخ صالح بن سالم رحمه الله في قصيدته:

أترجو أن يسرن على صواب وقد ضل الرجال عن الطريق

وأنهن والله مسؤلات ومحاسبات، إذا جمع الله الرعية والرعاة.



أما مسألة هل يجب مطالبة العالم والشيخ بالدليل على فتواه من القرآن والحديث.

فالذى يظهر من الادلة؛ هو الوجوب، إذ قد تبين لك مما مضى ان كلام المفتى بدون ذكر الدليل لا يفيد العلم، إذ العلم هو كتاب الله وسنة النبي ﷺ، لقوله: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض) [أخرجه الحاكم، بسند حسن].

وهذا الذى تركه فينا؛ هو العلم الذى ورثه لنا، كما قال ﷺ: (وإن الأنبياء لايورثون دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم) [أخرجه أحمد واصحاب السنن، وهو صحيح]، فالذى ورثه لنا هو الذى تركه فينا، وهو الكتاب والسنة، وعلى هذا؛ فكلام المفتى المجرد ليس بعلم، ولم يزل في احتمال ان يكون عليه دليل وإلا يكون مخطئا، أو يكون مصيبا في مآخذه من الدليل وفقهه منه أو يكون مخطئاً ، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، ومادمت لم تقف على العلم ولم تعلم فأنت مأمور بالسؤال {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.

يؤيد هذا ان الله أمر بالسؤال بالبينات، فقال: { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ }، في هذه الآية، ويزيد هذا إيضاحا؛ أنه يجب على المفتى إذا سئل عن شرع الله، أن يفتى به لقول رسول الله ﷺ: (من سئل عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) [اخرجه أحمد والاربعة عن ابى هريرة رضى الله عنه، وهو صحيح].

فإن كان يعلم الدليل؛ وجب عليه ذكره لمن سأله عن دين الله، وإن كان لا يعلم حرم عليه ان يقول على الله بغير علم، قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.

ومما تقدم أيضا يتبين لك أنه يجب على المفتى ذكر الدليل لمن سأله عن شرع الله.



أما ما الواجب على من ظهرت له الحجة والدليل والبرهان، وهو غير محيط بالسنة كلها والادلة المتعارضة؟ هل يعمل بالدليل ام يتوقف لاحتمال وجود دليل يعارضه؟

فنقول: قد سبق في كلام الشيخ سليمان رحمه الله قوله: (... بل الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علم معنى ذلك في أي شيء كان؛ ان يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك امرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ، وأجمع على ذلك العلماء قاطبة، إلا جهال المقلدين وجفاتهم) أه

فمما لا شك فيه؛ أنك إذا سألت أهل الذكر – أي اهل العلم بالقرآن والحديث – ثم أفتوك بما أنزل الله، لم يجز لك ان تعدل عن ذلك لقول أحد كائنا من كان، وإن كنت مع هذا ليس من أهل الذكر ولست ملما بالادلة المتعارضة، إذ ان الله أمرك بهذا عند عدم العلم.

بل لو فرض أن ما أفتوك به خطأ – والمعصوم من عصمه الله – ولم يتبين لك وجه الخطأ، فقد أديت ما أمرك الله؛ وهو سؤالهم بالبينة، لا يكلفك الله سوى ذلك، والمفتي إذا بذل جهده في تحرى الحق ثم أخطأ فهو مأجور بدليل حديث البحارى ومسلم: (إذا حكم الحاكم فأجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر)، بل لو لبس عليه الحق، واعطاك أدلة وبراهين، ولم يتبين لك تلبيسه، وإنما انت طالب حق؛ اقتنعت بدليله فأتبعت الدليل، فلا حرج عليك وإثمك عليه، بدليل قول النبي ﷺ: (من أفتى فتوى بغير ثبت، فإنما إثمه على من أفتاه) [أخرجه بن ماجة والحاكم عن أبي هريرة، وهو حسن].

فإن سألت اهل الذكر من هم؟

فهم أهل العلم بما أنزل الله، قال الله تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }، ولم يزل اهل الحق من عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، يعرفون اهل العلم على الحقيقة من بين سائر من ادعى العلم وليس من اهله، يعرفونهم باستقامتهم في العقيدة ونصرهم السنة وقمعهم البدع وتقواهم وخشيتهم وورعهم واتباعهم ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ، ودعوتهم إلى التوحيد وتجريد الاتباع والتحقيق في المسائل إذا تصدوا لها ب "قال الله وقال رسول الله"، لا ب "قال فلان وقال فلان، وذهب الجمهور، واجمع الفقهاء"، وغير ذلك من العبارات التي يلجأ إليها من فقد الحجة والدليل.

وليس قصدى بأجمع الفقهاء؛ الاجماع الثابت، الذى تجمع عليه الامة، فقد قال رسول الله ﷺ: (إن أمتى لاتجتمع على ضلالة) [رواه ابوداود وابن ماجه، وهو حسن]، وإنما

هذه الاجماعات التي مشحونة بها كتب الفقه، والتى ليست صادقة، فتجد الاجماع، ثم إذا بك تجد الخلاف في المسألة، وهذا كثير.

واعلم؛ ان اسم "الفقهاء" أصبح يطلق غالبا على اتباع المذاهب والمتفقهين على مذهب معين، ولذا تجد كثير من اهل السنة المتجردين لحديث النبي ﷺ يذمون الفقه وطريقة الفقهاء وكتب الفقه، ولايسمى فقيها إلا من كان متفقها في نصوص القرآن والحديث، لايستدل إلا بها ولا يتقيد بمذهب لم يشرعه الله، كما في الحديث: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) [متفق عليه]، ولكن الفقهاء لما رأوا بضاعتهم لا يتحكم فيها إلا الدليل، سموا ما ألفوه الناس؛ "فقه الادلة"، وسموا أؤلئك "محدثين"، فلم تدخل البلية على المسلمين إلا حينما افترق الفقه والحديث، وإلا فلا خير في فقه ليس بفقه للقرآن والحديث.

أعود فأقول: أنه من رحمة الله بعباده ان جلى لهم أمر الصالحين بصدقهم واستقامتهم ومحبة بعضهم لبعض وباتفاق أقوالهم واصولهم وعقيدتهم، بخلاف الذين سواهم: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا }.

بل من اعظم ما يتميز به العلماء الصادقون؛ رجوعهم إلى الحق إذا تبين لهم —كما مر بك في اول الرسالة رجوع الامام مالك وغيره – وعدم تعنيف بعضهم على بعض، مع ان الالتزام بالدليل واتباعه يجعل المؤمن لا يخشى ضلالا من المفتى، لأنه يطالبه بالبرهان على كلامه، حتى لو جاءه الدليل والبرهان من عدوه لما ترك العمل به من اجله، لانه يدور مع الحق حيثما سار، قال الله تعالى: { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }، وهذا الامر اكبر شاهد على ان المنهج الحق هو منهج الدليل، اما الذى يقبل كلام المفتى بلا دليل؛ فهو إن أخطأ تبعه على خطئه، وإن ضل تبعه على ضلاله، وإن أصاب فليس بجازم إن هذا هو الحق بل هو على ظن، قال الله تعالى: { وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا }، وذم الذين يتبعون الظن في اكثر من آية في القرآن، كما في قوله تعالى: { وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }.

بقيت مسألة هامة؛ وهى إن علمت حديثا صحيحا عن النبي ﷺ وفقهت منه مسألة، لكن لا تدرى هل هناك نص آخر في القرآن والحديث يعارضه بنسخ أو تقييد – ولاسيما وانت مبتدئ في طلب العلم – فهل تعمل به ام تتوقف؟

فنقول: طريق السلامة في مثل هذا ان تراجع شرحه وكلام اهل العلم فيه، فإنك تفيد خيرا كثيرا، وتجد ما يتعلق به من النصوص وما يتضمنه من المسائل وفؤائد لا تحصر، وتقف على الخلاف في المسألة ان كان فيها خلاف، وتأخذ القول الذى يؤيده الدليل، وهذا

كله فيما إذا كان النص غير واضحا، كقول النبي ﷺ مثلا في الحديث المتواتر: (من كذب على...)، يحتمل ان يكون هناك نص يعارضه ونحو ذلك وهذا كثيرا جدا، وكذلك إذا لم تجده يستدل به عالم من اهل الذكر؛ فإنه في الغالب يكون ملما بمقاصد الشريعة ومطلعا على كثير من النصوص - كابن تيمية رحمه الله مثلا - فأنت تتحرى الحق على ضوء ما ذكرناه، ومن يتحرى الخير يعطه، وبعد ذلك لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها.

وفى صحيح مسلم؛ لما قالوا؛ "ربنا لا تؤاخذنا إن نسيا أو أخطأنا"، قال؛ "نعم"، خاصة بالرجوع إلى كتب شروح الحديث وتفسير القرآن؛ تتحاشى الوقوع في ذلك الاحتمال، وهو الوقوع في نص له نص معارض لا تعلمه، إذ أنك بالرجوع إلى كتب اهل العلم، تعتبر كالسائل لهم، فقد أديت ما عليك، وهذا الاحتمال طالما صد الكثيرين من محبى الخير عن اتباع الحق وجعلهم يستسيغون التقليد المذموم الذى أصبحوا به يعبدون الله على جهل بما أنزل، وذلك من تلبيس الشطان على الناس في هذا الزمان - زمن الفتن والمحن - قال النبي ﷺ: (إن السعيد لمن جنب الفتن، ان السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر) [رواه أبو داود، بسند صحيح].

هذا؛ وبعد ان تبين لك مما مضى ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة والتفقه فيها ونبذ ما سواهما، فاتق الله واعلم ان الله لم ينزل هذا القرآن ولم يوح السنة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم عبثا، وإنما قال تعالى: { اوَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، لتهتدى بهذا النور، فأقبل على هذا النور وتفقه فيه، واعلم؛ ان فيه فصل النزاع في كل مسألة، قال الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا }، وقال تعالى: { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ}، ويستحيل ان يردنا عند التنازع إلى ما ليس فيه فصل النزاع، فإن أقبلت على هذا القرآن وعلى سنة النبي ﷺ - التي هجرها اكثر الناس اليوم وزهدوا فيها - فقد أراد الله بك خيرا، قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) [متفق عليه]، والدين؛ هو القرآن والحديث، لا غير.

واحذر من الكتب التي لا ذكر للادلة فيها، فإنما الطريق الذى سارت عليه؛ طريق عمى وضلال، يصدك عن الوحى المنزل الذى أمرنا الله بإتباعه، وأما هذه الكتب فليست بوحى وليست بمنزلته، قال الله تعالى: { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ }، وقال: { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ }، ثم يقال - مع ذلك - انها على مذهب الامام أحمد بن حنبل أو غيره! وليتها تصح نسبتها إليه، فضلا عن ان تكون عن رسول الله ﷺ.

قال الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله — في رسالته إلى قاضى الاحساء المتقدم ذكرها -: (وأكثر ما في الاقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه).

واشد من ذلك؛ ان تجد الناس يتعلمون منها صلاتهم وصيامهم وحجهم وفصل ما بينهم في معاملاتهم كما ترى في كتاب "زاد المستنقع"، وغيره، وإنما يقع فيها من غلا في محبة العلماء وقال؛ "هؤلاء علماء المسلمين كيف لا نتبع اقوالهم؟!"، ولكن والله لا تجد حلاوة الإيمان حتى تقدم محبة الله ورسوله عليهم، قال النبي ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان؛ ان يكون الله ورسوله احب إليه مماسواهما...) [أخرجه البخاري ومسلم]، وليس الاتباع إلا للرسول الذى ارسله الله إلينا لنتبعه، فمن نزل العالم وكلامه؛ منزلة الرسول ﷺ وكلامه، فقد ضل ضلالا مبينا.

قال الشيخ سليمان بن مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فإن قلت؛ فماذا يجوز للانسان من قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟ قيل؛ يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة وتصوير المسائل، فتكون من نوع الكتب الالية، اما ان تكون هى الكتب المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم اليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ، فلا ريب ان ذلك منافٍ للايمان مضاد له، كما قال تعالى: { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا }...)، إلى ان قال: (ان الآئمة الاربعة قد نهوا عن تقليدهم مع ظهور السنة...)، إلى ان قال: (وكلام الآئمة مثل هذا كثير، فخالف المقلدون ذلك وجمدوا على ما وجدوه في الكتب المذهبية، سواء كان صوابا أم خطأً، مع ان كثير من هذه الاقوال المنسوبة إلى الآئمة ليست اقوالا منصوصا عليها، وإنما هى تفريعات ووجوه واحتمالات وقياس على اقوالهم، ولسنا نقول؛ ان الآئمة على خطأ، بل هم – إن شاء الله – على هدى من ربهم، وقد قاموا بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته، ولكن العصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ، فهو الذى: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }، فما العذر في اتباعهم وترك اتباع الذى لا ينطق عن الهوى؟) أه كلامه رحمه الله من كتاب "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد"، عند شرحه لباب طاعة الامراء والعلماء من "كتاب التوحيد".

قلت: فتبين من فحوى كلامه رحمه الله ان الاقتصار على مثل هذه الكتب لا يغنى شيئا، وانما كانت رأي عظم البلوى بها، فقال؛ يستعان بها — *على* – فهم الكتاب والسنة، وتصوير المسائل، وإلا فهى أحكام بلا أدلة، وإنما الذى يستعان به على فهم الادلة هى كتب الشروح واللغة التي توضح المعنى، وأما تصوير المسائل فما نعلم من هدى اصحاب النبي

ﷺ انهم كانوا يقولون؛ من فعل كذا فالحكم كذا، وإن كان كذا فالحكم كذا، ونحو ذلك مما تجد كتب الفقهاء تزخر به، وهى بضاعتهم التي يفخرون بها، وانهم بذلك يريدون ان يحددوا حكما لكل مسألة في الدنيا فيفرضون لها فرضيات بلغت إلى حد الهزل والسخرية، بخلاف الطريق الذى سار عليه الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان، وهو نقل قول الله ورسوله وأدأوه كما سمعوه، ثم كل من قرأه يفقه منه مسألته، ففيه حكم كل مسألة، لذا تبدوا فرضيات الفقهاء أكبر شاهد على ان كتب الفقهاء وطريقتهم ليست على شئ، وليت الذى يقع في مثل هذه الافتراضات واحد أو اثنان، وإنما كل من سار على طريقة الفقهاء الممقوتة، التي وصلت إلى ان يفترضوا؛ لو مس ذكر رجل ذكراً مقطوعاً هل ينقض وضوء ه أم لا؟ فهل من هدى النبي ﷺ أو كان الصحابة على مثل هذا الذى قد ينفر من اراد الدخول في الإسلام لهذه السخافات التي يأباها العقل والخلق، ولا تعجب فقد تصدى لهذه المسئلة جمع من الفقهاء، وليتهم اخرجوا لنا حكما بدليله، لكن إليك ما جاء في فقه الحنابلة حول هذه المسئلة.

قال في كتاب "الفروع" لابن مفلح – المتوفى سنة 763 –: (وفى مس لذكر بائن أو محله روايتان)، ثم علق عليه في "تصحيح الفروع" للشيخ علاء الدين الصالحى الحنبلى – المتوفى سنة 885 – فقال [ج 1/ص180]: (قوله؛ "وفى مس ذكر بائن أو محله روايتان" انتهى، ذكر مسألتين؛ المسألة الاولى؛ مس ذكر البائن أي المقطوع، هل ينقض الوضوء ام لا؟ اطلق الخلاف وأطلقه في الهدية والمذهب ومسبوك الذهب والمستوعب والخلاصة والهادى والمقنع والمغنى والكافى والتلخيص والمحرر والنظم ومختصر ابن تميم وابن منجا وابن عبيدان والزركشى في شروحهم والحاويين والفائق وتجريد العناية وغيرهم، احدهما؛ لاينقض! وهوو الصحيح! قال في مجمع البحرين؛ "عدم النقض أقوى لعدم الحرمة والمظنة وصححه في التصحيح وتصحيح المحرر، وجزم به في الوجيز و (...) ومنتخب الادمى، ونهاية بن رزين في شرحه، قال في ادراك الغاية؛ ينقض مسه ولو منفصلا في وجه" انتهى.

والوجه الثانى؛ ينقض جزم به الشيرازى.

تنبيه؛ حكى المصنف الخلاف روايتين وكذلك حكاه صاحب التلخيص والرعايتين والحاوين والفائق وغيرهم، وحكاه وجهين صاحب الهداية والمذهب ومسبوك الذهب والمستوعب والخلاصة والمغنى والكافى والمقنع والهادى والمحرر والشرح ومختصر بن تميم وشرح ابن عبيدان ومجمع البحرين والزركشى وغيرهم، ثم ذكر المسألة الثانية؛ وهى ما إذا مس محله فرجع إليه.

وبعد؛ فانظر إلى هذا الشرح الطويل على هذه المسئلة التي أساسها الافتراض وماسمعت إلى الان انها وقعت ثم ماذا؟ ماالذى خرجنا به هل ينقض ام لاينقض؟ كل من القولين جزم ففيه من نتبع؟ وغير هذا لم يذكر استنادا إلى آية اوحديث فأى هداية ونور في مثل هذا الكلام؟

واليك السألة الاخرى التي فيها؛ إذا شق ذكره نصفين وأدخل كل نصف في فرج هل عليه غسل ام لا؟ وهو ماذكر بالتفصيل في فقه الشافعية، حتى تقرأ ما أتحفك به فقهاء الإسلام.

جاء في حاشية الشرقاوى على "تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب" للامام ابى يحي زكريا الانصارى [ج 1/ص 78]: (قوله؛ "أو دخول حشفه"، أي جميعها وان كبرت، وهى ما فوق محل الختان، فلا تحصل الجنابة ببعضها ولو مع اكثر الذكر، وسواء ادخلها في مرة أو اكثر، فلو شقت نصفين وأدخل نصفها الاول ثم اخرجه وأدخل الثانى ولو في فرج اخر وجب الغسل على صاحب الحشفة دون الاخرين، ولو أدخل نصفها الاول ثم اخرجه وادخل الثانى ولو في فرج اخر وجب الغسل على صاحب الحشفة دون الاخرين، ولو ادخل نصفا في فرج امرأة واخر في دبرها فالظاهر انه كذلك، قال في الحاشية؛ أي لكنه يجب عليها الغسل ايضا، إذ يصدق عليه انه ادخل حشفه في فرج ولو ثنى ذكره وادخل قدرها أو اكثر منه لم يجب عليه الغسل... الخ)، هذه المهزلة والسخافة!

هذا كلام ليس فيه هداية   من سار في تحصيله لا يهتدى

أما يخجل هؤلاء عن ذكر هذه المسائل فضلا عن نسبتها إلى شرع الله، وإن القلب يحزن حينما تكلم بعض الناس فيهم، فيقول؛ كيف تعيب المذاهب الإسلامية ولا تقرأ كلام فقهاء الإسلام؟ خابوا وخسروا، ما هم بفقهاء، إنما الفقيه من اراد الله به خيرا وفقهه في الدين.

وقد تقدم لك من وسواس الشياطسن ما تميز به بين الحق والباطل، ويعلم الله اننا كنا نستطيع ان نأتى بأمثلة هزلية أشد فضيحة! مما ذكرنا، قد شحنت بها كتب الفقه، تكشف عن الضلال الذى وصل بهم إلى السخافة، والقول على الله بلا علم، ولكن ليس هذا محله، فما عليك الا ان ترجع إلى التفاصيل في كتب الفقه، تجد ما يكشف لك النقاب، واصطحب معك؛ انك لن تجد فقه آية أو حديث على وجهه إلا ان يشاء الله، اللهم إلا ان يكون موافقا لما عليه المذهب، فستجد الادلة والبراهين، واما إذا خالف ما عليه الذهب فوا مصيبة السنة حينما تنهشها أسنة الرماح، وإليك مثالا واحدا:

قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: (باب؛ من صلى بالناس وهو لايريد الاان يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته)، ثم أورد حديث الحديث عن ابى قلابة، قال: جاء مالك بن الحويرث في مسجدنا هذا فقال: (أنى لأصلى بكم وما أريد الصلاة، أصلى كيف رأيت النبي ﷺ يصلى)، فقلت لأبى قلابة: كيف كان يصلى؟ قال: مثل شيخنا هذا، وكان شيخا يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل ان ينهض في الركعة الاولى.

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب؛ من استوى قاعدا في وتر من صلاته ثم نهض)، ثم ساق بسنده عن ابى قلابة؛ أخبرنا مالك بن الحويرث الليثى، انه رأى رسول الله ﷺ يصلى فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعدا.

وقال البخاري ايضا في صحيحه: (باب؛ إذا استووا في القراءة فليؤمهم اكبرهم)، ثم اورد الحديث عن ابى قلابة عن مالك بن الحويرث الليثى، قال: قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببية، فلبثنا عنده نحوا من عشرين ليلة، وكان النبي ﷺ رحيما، فقال: (لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، ومروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم اكبركم).

واخرج البخاري ايضا عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رآيتمونى اصلى).

هذه الاحاديث في صحيح البخاري وقد وافقه مسلم في بعضها، وهى تفيد ان مالك بن الحويرث رضى الله عنه قدم ومعه رفقه كلهم شباب على الرسول ﷺ، فأقاموا عنده نحو عشرين ليلة فلما أرادوا أن يرتحلوا، كان فيما قال لهم: (صلوا كما رأيتمونى اصلى)، وانه رأى رسول الله ﷺ يجلس بعد السجدة الثانية من الركعة الاولى والثالثة – أي في الوتر من صلاته — وقوله؛ (لم ينهض حتى يستوى قاعدا)، يفيد انها جلسة خفيفة، أي بقدر ما يستوى قاعدا، وان هذه الجلسة واجبة، لانها من صلاته ﷺ التي قال فيها: (صلوا كما رآيتمونى اصلى)، والامر للوجوب، ولم يصرفه صارف عن الوجوب، وهكذا سائر صفة صلاة النبي ﷺ، فهى للوجوب بهذا الحديث الا ماصرفه صارف واستثناه الدليل.

لكن هل تدرى ماذا في كتب الفقهاء؟ ليتك لا تدرى! نكتفى ببعض كتب الحنابلة التي خدع الكثير بالعكوف عليها والتفقه فيها واهملوا التفقه في السنة الصحيحة واحيائها.

قال منصور البهوتى في "كشف القناع من متن الاقناع" [ج 1/ص327]: (ولا تستحب جلسة الاستراحة، وهى جلسة يسيرة صفتها كالجلوس بين السجدتين بعد السجدة

الثانية من كل ركعة بعدها قيام، والاستراحة طلب الراحة، كأنه حصل له أعياء فجلس ليزول عنه، والقول بعدم إستحبابها هو المذهب المنصور عند الاصحاب، لما روى ابوهريرة؛ ان النبي ﷺ كان ينهض على صدور قدميه) [رواه الترمذي باسناد فيه ضعف]، وروى ذلك عن عمر وابنه وعلى وابن مسعود وابن عباس، قال احمد؛ اكثر الاحاديث على هذا، وقال الترمذى؛ وعليه العمل عند اهل العلم، قال أبو الزناد؛ تلك السنة، وقال النعمان ابن ابى عياش؛ أدركت غير واحد من اصحاب النبي ﷺ يفعل ذلك – أي لا يجلس – قال في "شرح الفروع"؛ وليس في شيء مما ذكر حديث دليل صريح على المطلوب، كحديث إثبات جلسة الاستراحة، واختار الخلال رواية الجلوس لها، وقال؛ رجع أبو عبد الله إلى هذا، ولما روى مالك بن الحويرث؛ ان النبي ﷺ كان إذا صلى جلس قبل ان ينهض، [متفق عليه]، وفى لفظ له أيضا؛ انه رأى النبي ﷺ يصلى فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعدا، [رواه الجماعة إلا مسلما وابن ماجه، وذكره ايضا أبو حميد في صفة صلاة النبي ﷺ، – وهو– صحيح] فتعين العمل به والمصير اليه وأجيب بأنه كان في اخر عمره عند كبره جمعا بين الاخبار).

وقال في "غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى" [ج 1/ص129]: (ولا تسن جلسة الاستراحة؛ وهى جلسة يسيرة كجلوس بين السجدتين) أهـ

فانظر – يا أخي – كيف يروغ متعصب المذهب، وإذا تأملت فيما نقلنا لك وجدت من القول على الله بلا علم ما يتفطر له فؤاد المؤمن الذى ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، من ذلك:

– قولهم؛ "ولا تستحب"، مع انه قد تقدم لك الدليل على وجوبها.

– تسميتهم لها جلسة الاستراحة، ولا دليل معهم على تسميتها، وإنما دفعهم على هذا ما ذكروه في الفرية الاخرى، وهى ان النبي ﷺ فعلها عند الكبر، ويأتى بيان ذلك قريباً إن شاء الله، وإلا فإن الجلوس على الكبير خاصة فيه مشقة واهون عليه الا يجلس.

– انظر كيف يستدل بحديث هو يعترف بضعفه، وأنه غير ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

– قوله؛ "عن احمد"؛ يحتاج إلى إثبات أنه قاله، وعلى فرض صحته، فقد رجع عنه رحمه الله لما تبينت له السنة، وكذلك قول أبي الزناد والنعمان؛ تحتاج إلى اثبات بالسند عنهم، وإلا فهى معلقات ومعضلات.

– انظر كيف يرجع إمام المذهب إلى الحديث وهم لا يرجعون.

– انظر كيف يعارضون الاحاديث الصحيحة بالحديث الضعيف والاقوال الباطلة.

– الفرية الكبرى وأصل ضلالهم في المسألة؛ قولهم ان النبي ﷺ فعلها عند كبره، وهذا قول باطل من وجوه كثيرة؛

منها؛ ان النبي ﷺ لم يبلغ به الكبر إلى حد العجز وأرذل العمر، كما في البخارى؛ انه توفى وعمره ثلاثة وستون سنة.

ومنها؛ ان راوى الحديث مالك بن الحويرث رضى الله عنه يقول" (قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن شببية)، فأمرهم بها وهم شباب بقوله: (صلوا كما رآيتمونى أصلى)، وقد رأوه يفعلها، فحتى لو سلمنا جدلا ان النبي ﷺ فعلها في حال الكبر فقد امر بها الشباب، كيف ولم يثبتوا فعله لها عند الكبر بدليل صحيح؟

وبعد: – يا أخي – هذه مسألة واحدة وقد دندنوا حولها بأدل،ة فكيف ببقية المسائل التي يتصدرون فيها الحكم بلا راحة ولا دليل.

هذا؛ وحسبك ما ذكرنا في إبطال التقليد الذى اتخذه الفقهاء مطية إلى ما وصلوا إليه من الضلال، ونذكر لك بعض الكتب التي فيها هذا الموضوع:

1) اعلام الموقعين، لابن القيم.

2) الدرر السنية في الاجوبة النجدية، [ج1] فيه رسالة للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب [ص31]، [ج4] فيه رسالة لابن معمر.

3) ايقاظ همم أولى الابصار، للفلانى.

4) القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد، للشوكاني.

وبعد هذا؛ اعلم يأخى – رحمنا الله وأياك – ان اكبر ما ينقصنا اليوم، هو العلم النبوى الذى ارسل الله به رسولنا الينا، فوا عجبا ان يرسل الله الينا رسولا برسالة ثم لا نتعلمها ولا نعرفها، واذ عرفت ان الله امرنا ان نتعلم القرآن والحديث، فاعلم ان الله يسره، وقد أخبر الله بذلك خبرا صادقا لا يكذب، فقال الله تعالى: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن

مُّدَّكِرٍ}، وقال النبي ﷺ: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين احد إلا غلبه) [رواه البخاري]، والدين يسر في تعلمه وفى العمل به.

وهناك امران هامان من تيسير الله لطالب العلم:

الاول: ان الله لم يوجب عليك ان تتعلم القرآن كله وتفسيره والحديث ومعانيه، وإنما الواجب من ذلك هو ما تعبد الله به، الا تسير فيه إلا على بينة وعلى بصيرة من الكتاب والسنة، فإذا أردت الصلاة – مثلا – تعلمت كيف صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهكذا، وإذا أردت ان تحج تعلمت كيف حج النبي ﷺ، وإذا أردت ان تفتى بأن هذا حرام وهذا حلال، أو واجب أو مستحب ونحو ذلك، الا تقول ذلك إلا ببينة من الله ورسوله، لئلا تقول على الله بلا علم، ولا يجب عليك – مثلا – ان ان تتعلم احاديث القضاء وانت لا تزاول ذلك، أو أحاديث الطلاق وآياته وهلم جرا من المسائل التي لا تعملها ولا تفتى فيها.

مع ان معرفة ما انزل الله في هذه المسائل وغيرها له فضيلة عظيمة لا توازيها فضيلة لكى تعلم غيرك وترشده في ذلك، قال النبي ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [رواه البخارى]، وقال: (من علم علما فله أجر من عمل به من غير ان ينقص من أجورهم شيء) [رواه ابن ماجة عن معاذ، وهو صحيح]، وقال: (ان الملائكة لتصلى على معلم الناس الخير) [رواه الترمذي عن ابى امامة، وهو صحيح].

وقد تقدم قول النبي ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر) [رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن أنس، وهو صحيح]، وفيه إشارة إلى العلم الواجب والمستحب، لأن أصل طلب العلم فريضة، فيجب على كل مسلم ان يطلب العلم، ثم ذكر فضل طلب العلم، فكلما طلبت العلم كلما استغفرت لك المخلوقات، {ولكل درجات مما عملوا}، {وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

الثانى: من تيسير الله تعالى دينه ان يسر طريق طلب العلم، وقد كان العلماء الصالحون من قبل يفتحون أبوابهم لطلبة العلم ويشرحون لهم صدورهم ويسهلون عليهم العلم ويفقهونهم في دينهم، أما في هذا الزمان؛ فقد ابتلى المسلمون بمشائخ التقليد، فأصبحت لا تجد العالم بالكتاب والسنة الذى يفقه الناس فيهما – الا قليلا – وإنما قسم منهم يكتسبون الدنيا بالدين وانصرفت همتهم إلى الحياة الدنيا، والقسم الاخر؛ إنما هم قراء وليسوا بعلماء، وقد تجد عند الرجل منهم علما، لكن يفتيك على المذهب، وقد يكتم عنك الآية والحديث

حتى ولو كان يعلمها، وان راجعته في شيء أو خطأته ثار عليك جلساؤه – الذين انخدع بهم – وقالوا لك؛ "انت ترد على الشيخ؟ أما تستحى؟ ومتى تعلمت؟"، وتجد هذا القسم أحيانا يتظاهرون بالزهد الذى لم يشرعه الله ورسوله، وإذا سمعوا الاحاديث الضعيفة والمكذوبة في وصف الجنة والنار وجدت عندهم البكاء والنحيب.

فلما تخلى هؤلاء عن نصرة النبي ﷺ، أنتصر الله لدينه كما قال: { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ }، فيسر الله في هذا الزمان لطالب العلم ما لم يكن موجودا من قبل، وهو كتب اهل العلم وطباعتها وتوافرها، حتى إنك — ولله الحمد — تستطيع ان تجمع عندك من كتب الحديث وشروحها وتفسير القرآن ما كان الواحد من أهل العلم من قبل يمكث في جمعه عشرات السنين أو أكثر، وهذه نعمة تشكر، ومنة لا تنكر، فتستطيع – ولله الحمد – أن تقرأ في المسألة الواحدة ماورد فيها من الآيات ومن الاحاديث وما قال فيها اهل العلم وغير ذلك، في وقت يسير، فما عليك إلا ان تعرف طريق الدخول إلى بحث المسائل، وهذا أسهل وأيسر، كما سنشير لك إليه إشارة إن شاء الله تعالى.

فإذا أردت أن تعرف ما كان عليه النبي ﷺ فعليك؛ اولا؛ ان تخلص نيتك لله في طلبك العلم فإن الله يقول: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ }، ثم بعد ذلك؛ الاستقامة، فتتجرد لإتباع النبي ﷺ وتقرأ القرآن والسنة بدون هوى ولا تتعصب لرآيك أو غيره، وإنما تريد الحق، فأنت مستسلم لما يأمرك الله ويشرعه لك، واعلم ان هذا الاستسلام هو ملة ابراهيم، قال الله تعالى: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ }، وإلا فإنك إن تفقهت في الكتاب والسنة، وانت لك مقصد أو رأى ترى تقريره فقط، فسوف تأخذ من الادلة ما يوافق ما تريد ولا تلقى بالك لسوى ذلك، لأنك صاحب مقصد تريد تقريره، وإذا أردت أن تعرف ذلك؛ فانظر إلى من حولك ممن يدعون إلى الإسلام على طريقة معينة، فهم لايعرفون الا ما يوافق طريقتهم، فأصحاب المذاهب عندهم أدلة ويتكلفون النصوص التي تعارض مذهبهم، والذين فتنوا بالشيوعية ومخططات اعداء الإسلام التي يفقهونها أكثر من الكتاب والسنة عندهم أدلة، والاخرون عندهم أدلة، وكل يحاول ان يفقه من نصوص الكتاب والسنة ما يوافق طريقته التي ارتضاها، واما من ارتضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا؛ فهو لا يلفظ بكلمة ولا يدعوا إلى شيء إلا إذا كان مشروعا له في دين الإسلام من عند ربه على لسان رسوله ﷺ، يسير مع الحق حيث سارت ركائبه، لا يعمل إلا بدليل، ولا يتكلم إلا بدليل، ولا يرشد إلى شيء إلا يستدل عليه بالدليل، فهو الذى يهتدى بنور الذى أنزله الله ويهدى به العباد، قال الله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمان وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي

بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ}.

وقد اشرنا لك قبل الى؛ ان الله قد يسر طريق طلب العلم في هذا الزمان بواسطة الكتب، فلا يخف عليك ان الدراسة على يد الشيخ والعالم افضل بكثير من الدراسة المجردة على الكتب، بل هى الاصل، كما تعرف عن علماء السلف، انهم كانوا بين عالم ومتعلم، وشيخ وتلميذ، بل الدراسة على الشيخ اكثر فائدة واعظم نفعا فإنه يجمع لك ما تفرق في شتات الكتب ويرشدك إلى ما يصلح لك ويسهل عليك في طلب العلم ويوضح لك مصطلحات اهل العلم وعباراتهم ويكفيك المؤونة في كثير من الامور، حتى انك تجد الدارس بين يدى الشيخ متميزا عن غيره في كثير من المسائل، فإذا وجدت عالما بالكتاب والسنة متجردا عن المذاهب محققا في المسائل متواضعا تقيا يعطيك الدليل والحجة والبرهان على ما يقول على عقيدة اهل السنة والجماعة؛ فامسك بغرزه ولازمه فإن الله ينفعك به كثيرا، لكن إذا لم تجد – كما في كثير من الاحيان – فاعلم ان الله قد جعل لك عوضا عن ذلك – وإن لم يكن في درجته – وهو طريق بحث المسائل في كتب اهل العلم من القرون الماضية إلى يومنا هذا، وهذا متيسر ولله الحمد والمنة، وكثير من الكتب متوفر في الاسواق تستطيع تحصيله، وإليك مدخلا سهلا للبحث فيها:

أولا: أعلم أن القرآن قد حفظه الله من التغير والتحريف ونقل إلينا بالتواتر، فالمسلمون جميعا لا يختلفون في ثبوته، ولكن تحتاج إلى ان ترجع لفهم ما يشكل عليك إلى تفسير القرآن، ومن خير التفاسير؛ تفسير بن كثير، وتفسير بن جرير، وهناك غيرهما، لكنك لا تستغنى عند وجود احاديث تفسر الآيات عن تحقيقها والتأكد من صحتها، وهذا ما نبينه لك إ ن شاء الله تعالى فى:

ثانياً: أحاديث النبي ﷺ هى التي نستدل بها ايضا ونتبعها، لآنها وحى، قال الله عز وجل: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} ، وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }، ولكن لابد ان تعلم انه بعد النبي ﷺ أصبحت أحاديثه يتناقلها الرجال بعضهم من بعض، ثم دونت في كتب – موجودة تلك الكتب إلى اليوم – ولكن بعض الناس من الكذابين وغيرهم صاروا يقولون على رسول الله ﷺ احاديث لم يقلها، فنصر الله دينه بأهل الحديث الذين يعتنون بحديث الرسول ﷺ، فأصبحوا لا يقبلون الحديث ويثبتونه حتى يثبت لديهم ان الذى نقله ورواه ثقة صادق في كلامه، وايضا لا يكون كثير الاخطاء والنسيان، وغير ذلك، فحفظ الله بهم الدين، وأصبح العالم إذا روى حديث عن الرسول ﷺ يقول؛ "حدثنا فلان قال حدثنا

فلان عن رسول الله ﷺ"، فإذا وجده العلماء سألوا عن فلان وعم فلان؟ فإذا تبين لهم أنهم كلهم ثقات وتأكدوا ان بعضهم سمع من بعض وتوفرت فيه الشروط، قالوا؛ هذا الحديث صحيح، وإن كان فيه كذاب – مثلا — قالوا؛ هذا حديث ضعيف ولا يقبلونه ولا يعملون به، وقد يأتى الحديث فيه رجل يخطئ كثيرا ثم يأتى الحديث بسند آخر فيه رجل مثل الاول يخطئ كثير ا فيتقوى هذا السند بذاك السند، ويقولون؛ هذا حديث حسن ويقبلونه ويعملون به عمل الصحيح، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى: { فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى }فى الشهادة؛ فالمرأتان تقوى كل واحدة الاخرى، فكذلك الرجلان الضعيفان يقوى أحدهما الآخر إذا لم يكن الضعف شديدا، وهذا مثال وتجد التفصيل في كتب الحديث.

وهذا كله في غير الصحابة رضى الله عنهم، أما الصحابة فكلهم عدول قد رضى الله عنهم، كما قال تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ }، ومن هذا تعلم اننا لا بد ان نتثبت فيما نقوله على رسول اله ﷺ ونتأكد من صحته وعدم ضعفه، واما ما لم يثبت؛ فلا نتبعه لاننا لانبنى ديننا على ظن، وإنما على يقين، وقد ذم الله الذين يتبعون الظن وقال: { وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا }.

إذا تبين لك هذا فاعلم؛ ان صحيح البخاري وصحيح مسلم؛ الاحاديث التي فيهما صحيحة، فإذا جاءك الحديث من احدهما لم يلزم ان تبحث في إسناده، بل تعلم انه صحيح لانهما اشترطا ألا يكتبا في هذين الكتابين إلا ما صح وثبت، وقد وفيا بشروطهما، وإذا كان الحديث فيهما قالوا؛ "متفق عليه"، أو "فى الصحيحين" أو "رواه الشيخان"، فالحديث فيهما تجزم بصحته، إلا ان يتبين لك بالبرهان ضعف حديث تعقبه احد من اهل العلم بالبرهان، فالحق احق ان يتبع، فهما ليسا بمعصومين من الخطأ، ولكن على وجه العموم قد تلقتهما الامة بالقبول، والاحاديث التي انتقدهما فيها بعض اهل العلم – كالدراقطنى مثلا – قد رد عليه ابن حجر وأجاب عنها، ومع كل منهما شيء من الصواب – كما حقق ذلك بعض طلبة العلم في عصرنا في رسالة عسى ان تظهر قريبا –

واعلم؛ ان بعض العلماء اشترطوا الصحة في كتبهم ولم يوفوا بما اشترطوا، فوجد في كتبهم احاديث ضعيفة، وذلك مثل؛ صحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان، وعلى هذا فإذا لم يكن الحديث في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم، فإنك تتوقف عن قبوله حتى تتأكد من سنده؛ أنه صحيح، لآن كتب الحديث – غير البخاري ومسلم —كثيرة، مثل؛ سنن أبي داود وسنن النسائى وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ومسند أحمد وسنن الدرامى

وغيرها كتب كثيرة، لك فيها الصحيح والضعيف، لذلك تجد اهل العلم إذا ذكروا الحديث؛ رواه غير البخاري ومسلم، أضافوا كلمة و "سنده صحيح"، مثل؛ "رواه أبو داود بسند صحيح"، أو "رواه أبو داود بسند حسن"، ونحو ذلك، وطريقة التأكد؛ اما ان تحقق انت الحديث حسب القواعد التي سار عليها المحدثون في مصطلح الحديث، أو تجد خبر عالم ثقة غير متساهل بأن؛ هذا الحديث رواه فلان وهو صحيح، فتقبل خبره كما قبلنا خبر البخاري بأن هذا صحيح لأنه ثقة غير متساهل، وهذا ليس بتقليد وإنما هو من باب قبول خبر الثقة، ونحن قبلنا خبر الثقة بدليل من الكتاب والسنة، وارجع إلى كلام بن القيم على هذا عند كلامه على التقليد، (. . .) واعلم انه لم يقبل اهل العلم تصحيحه ولا تحسينه ولا تضعيفه، وذلك كالامام الترمذي رحمه الله؛ فإنه ثقة لكنه متساهل، فإذا أخذنا بقول المتساهل فذلك يعتبر تساهلا منا، ولا يجوز التساهل في إثبات حديث النبي ﷺ لئلا نقول عليه مالم يقل.

قال النبي ﷺ: (من تقول على مالم أقل فليتبوأمقعده من النار) [رواه الامام أحمد وابن ماجة والطبرانى، وهو صحيح].

واعلم؛ ان هذه الكتب التي فيها احاديث الرسول ﷺ، كل صاحب كتاب منها يروى حديث النبي ﷺ بالسند، فيقول البخاري – مثلا –: (حدثنا الحميدى عبد الله بن الزبير قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحي بن سعيد الانصارى قال اخبرنى مُحَّد ابن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر قال؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول؛ (إنما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى... الخ") الحديث، وهكذا كل حديث، فإذا لم يكن الحديث في البخاري ومسلم فلا بد ان نعرف أن هؤلاء الرجال كلهم ثقات وسمع بعضهم من بعض، وفى المسألة تفاصيل يسيرة موجودة في كتب مصطلح الحديث، وبها تعرف ان الحديث صحيح أو حسن أو ضعيف أو موضوع.

وقواعد المصطلح سهلة يسيرة، وعليها ادلة من الكتاب والسنة، وقد تستطيع تحصيلها في يوم واحد، إذا رزقك الله الفطنة ويسر لك من يسهلها عليك، لا من يهولها ويعظمها، والرسول ﷺ صادق ولابد؛ (ان هذا الدين يسر)، وصدق الله تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}.

وعلى هذا؛ فقد ألف كثير من أهل العلم كتبا في تراجم رجال الحديث، ومن أطولهم باعا الحافظ بن حجر في كتبه، ومنها "تهذيب التهذيب"، و "تقريب التهذيب"، وكذلك الذهبى في كتبه، ومنها "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، و "الكاشف"، وهذه على سبيل المثال، وإلا فكتب الرجال كثيرة، يجد فيها الراوى من رواة الحديث يتكلم عليه الذين يعرفونه

من اهل العلم، فيقولون؛ ثقة أو صدوق أو حافظ أو ضعيف أو كذاب، ويقولون؛ سمع من فلان وفلان وفلان ولم يسمع من فلان، وغير ذلك مما يجعلك تعرف الحديث وصحته من ضعفه.

واحيانا يصح الحديث برواة ثقات، لكن احدهم يخالف من هو أوثق منه، فيسمى هذا شذوذا، وتقدم رواية الاوثق، وهذا تعرفه بتحقيق اهل العلم كثيرا، وقد تستخرجه بنفسك، لكن عليك بالتأني والتثبت تسلم - إن شاء الله - لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن يتحرى الخير يعطه) - وقد تقدم تخريجه - ثم بعد ذلك لم يبق عليك إلا ان تتقى الله عز وجل فتأخذ الصحيح وتعمل به.

وإياك وكلام من يقول؛ يؤخذ بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال، فإن الذين يحتجون بهذا القول في زماننا لم يلتزموا بالشروط التي ذكرها بعض اهل العلم عند ذكر الحديث الضعيف — مع ان فيه آخرين يخالفوهم وهو الراجح - فإن من اهم شروطهم ان يعتقد ويبين عند ذكره ضعفه، لئلا يعتقد الناس أنه صحيح، ومنها؛ ألا يؤخذ به في الاحكام، وفضيلة العمل تفيد حكم الاستحباب، وإبطال قولهم يحتاج إلى بسط ليس هذا موضعه، ولكن تجده في كتب اهل العلم، وإذا لم تعرفها فاسأل عنها، ومنها مثلا:

- الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث بشرح أحمد شاكر.
- المنظومة البيقونية وشرحها.

وبعد هذا كله؛ وقد عرفت القرآن وثبوته والسنة، والاشارة إلى المدخل إلى طريقة معرفة ثبوتها، لم يبق عليك إلا العمل والجد والتشمير للتفقه فيما أنزل الله والعمل به وتعليمه، لكن قد يشكل عليك آيات القرآن فترجع إلى التفسير، - ومن كتبه تفسير ابن كثير، وإذا ذكر لك حديثا؛ عرفت كيف تقبله على الطريقة التي اشرنا لك إليها، ومنها تفسير ابن جرير بالاسناد، وقد أشرنا لك إلى كيفية معرفة صحة الاسناد وضعفه، وكذلك غير هذين الكتابين، والقراءة فيها وفى غيرها، ولا تضرك ولا تخش أن تضل ما دمت ملتزما ألا تقبل قولا إلا بدليل وبدليل صحيح.

ثم في احاديث الرسول ﷺ تحتاج إلى الرجوع إلى شروحها لكى تفهم المعنى على وجهه، وتعرف ما يشكل عليك في اللغة.

ثم هناك قواعد تجمع بين الادلة المتعارضة؛ وهى التي يسمونها "اصول الفقه"، فاحرص على الا تقبل قواعدها الا بالادلة والبراهين، وهى سهلة يسيرة، ولكن اصول الفقه

قد كثر الخلط فيها وعبث بها متعصبة المذاهب، حتى انك تجدهم يقررون احكاما بناء على قاعدة، والقاعدة من اصلها باطلة، ولكن دين الله هو الادلة والحجج والبراهين، قال الله تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)، فدل على ان من لا برهان له على دعواه من الكاذبين.

وينبغى التنبيه على تساهل كثير من الناس في احاديث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى اشتهر اليوم على السنة طلبة العلم فضلا عن غيرهم أحاديث ضعيفة فتنبه لهذا جيدا.

واهنأ ثم اعزم يا أخي — وفقك الله — على الاهتمام بدين الله وطلب العلم واجمع عندك من كتب اهل العلم ما تستغنى بالرجوع اليه في كثير من المسائل، ومن اهم هذه الكتب – بعد كتاب الله وتفسيره –

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- فتح البارى شرح صحيح البخارى، مع التنبيه ان مؤلفه ابن حجر عنده أخطاء في العقيدة، وقد نبه على بعضها الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على الجزء الاول والثانى والثالث منه في الطبعة السلفية، فاحرص عليها فإنها خير من الطبعات الاخرى.
- شرح النووى على صحيح مسلم، وتنبه أيضا لأخطأه في العقيدة.
- تحفة الاحواذى شرح سنن الترمذى.
- نيل الاوطار للشوكانى.
- كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، مطلقا فإنهما أمامان محققان وفى كتبهما نفع كبير.
- صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.
- حجة النبي ﷺ كما رواها جابر رضى الله عنه.
- احكام الجنائز.
- الوابل الصيب.
- الكلم الطيب.
- كتب الشبخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ومن اهمها رسائله في "الدرر السنية".
- شرح السنة للبغوى، وهو كتاب جليل احاديثه محققة ومخرجة.

- جامع الاصول، واحاديثه محققة ومخرجة، ولكن يبدو ان الذى حققها متساهل في بعض المواضع.
- آداب الزفاف في السنة المطهرة.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.
- العقيدة الطحاوية.
- سلسلة الاحاديث الصحيحة، صدر منها جزءان.
- سلسلة الاحاديث الضعيفة.

هذه الكتب لا يستغنى عنها طالب العلم المبتدئ، واحرص فيها على الطبعة التي مخرجة احاديثها، ومتكلم فيها على الصحيح والضعيف.

ثم اعلم؛ ان كلا من مؤلفيها لا بد لهم من أخطاء، ولكن خذ منهم الحق بدليله، وما أخطأوا فيه فاستغفر لهم ولاتتبعهم عليه، وإذا كان الصحابة رضى الله عنهم صدرت من بعضهم أخطاء فكيف بمن بعدهم من المؤمنين؟!

ولكن بعض الناس إذا وجد خطأ العالم تناسى جميع حسناته، بل رد كل كلامه، بل أشد من ذلك قد يرد الحق إذا جاءه من طريقه، وهذا مخالف للقرآن، قال الله تعالى: { وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.

ولا تتساهل في قبول تخطئة العالم حتى تثبت من خطئه انه أخطأ، ومن الدليل على خطئه من السنة، فهناك تبين، فتقول؛ "خطأ فلان في مسألة كذا"، وان كان مجتهدا ثم أخطأ، فعليك ان تعلم انه مأجور للحديث المتفق عليه: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر).

وإلا فقد قالوا عن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب؛ أنه يكفر الناس! ويستبيح الدماء! ورموه بانه كافر وضال وخارجى! ونحو ذلك، فهل أصابوا؟ كلا! وإذا أردت ان يتضح لك ذلك فاقرأ في "الدرر السنية" ردوده ورسائله رحمه الله.

ولا بد لنا هنا من التنبيه على فساد طلب العلم في هذه المدارس والمعاهد والكليات التي انخدع بها الكثير من الناس، ووجوه إبطالها كثيرة قد تحتمل رسالة مستقلة، ولكنها يكفى انها تقوم اولا؛ على معصية الله بالصور المحرمة، ويجد فيها الدارس من جلساء السوء، ولا يتعلم فيها الدارس الكتاب والسنة إلا على طريقة التقليد المذموم، ثم لا تخلو من المنكرات، وتجد الدارس فيها يسكت عن انكار المنكر ويداهن، وبسط الادلة فيما ذكرنا يطول وتجدها

منثورة في هذ هـ الرسائل فارجع اليها، ثم انظر إلى ما يخرج به الدارس في هذه المدارس يتضح لك الامر ان شاء الله.

واخر ما نوصيك به؛ ان تفقه نصوص الكتاب والسنة على مراد الله، وتعرض واقعك على ما أنزل الله، لا أن تعرض شرع الله على ما عليه الناس فتخضعه لهم، نعوذ بالله من ذلك.

هذا؛ ونستغفر الله من الزلل، ونسأله ان يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وان يبصرنا في ديننا، ويرزقنا الدعوة اليه على بصيرة وعلم، والصدع بالحق والصبر على ذلك، فعسى الله ان يأتى بالفتح أو امر من عنده.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

بقلم الشيخ؛ جهيمان بين سيف العتيبي
رحمه الله تعالى